وهذه الجذبة هي مقام حق اليقين وقد مر بيانه في المقدمة فراجعه وحققه وقابل بينه وبين هذا الكلام تراه بعينه فتصل الى التحقيق ويظهر لك غلط الموحدين بالتوحيد القال المدنسين بادناس الطبيعة المحجوبين بالحجب المنيعة وذلك لانه ظنوا ان كل من عرف وحدة الوجود كان موحدا بل واصلا بل هو في ارقى درجات الكمال وليس كذلك لان معرفة وحدة الوجود لا تفيد صاحبها فائدة معتدا بها بل قد يقع بها في الزندقة ويهبط الى سجين الطبيعة اعني المقام الاول الذي تسمى النفس فيه بالامارة بل الذي يفيد السالك في سلوكه شهود وحدة الوجود لا معرفتها والشهود حاله اضطرارية حاصلة عن المجاهدة والمكابدة والرياضة المتعبة والذل والافتقار والمسكنة ولا تفيد السالك هذه الحالة الا اذا كان معها اتباع الشريعة فان لم يكن معها اتباع الشريعة فهي الزندقة المهلكة فمن اراد سلوك طريق المقربين الموصل الى حق اليقين فعليه بالتوبة اولا ليرتفع عنه الحجب الظلمانية اعني حجب الذنوب ثم يسعى على دفع الحجب النورانية بالترقي في المقامات الاتي ذكرها في الابواب التي بعد هذا الباب ان شاء الله تعالى

فان قيل التوبة ثمرة الندم والندم حال في القلب والاحوال لا تدخل تحت الاختيار فكيف تكون التوبة واجبة مع انها ليست من الافعال الاختيارية اجيب بان اسباب الندم تدخل تحت الاختيار وهي سماع المواعظ وتعلم العلم النافع وذكر الله والتوجه الى الله ببعض العبادات ومعرفة ضرر الذنوب وكونها حجابا واعظم اسباب الندم المداومة على الذكر بلا اله الا الله لانه اذا داوم عليه اوقد الله تعالى في قلبه مصباحا ملكوتيا فتزول به ظلمة الباطن فيظهر على ما فيه من النجاسات والآفات القاطعة له من نيل السعادات وهو وان كان يعلمها من قبل لكن ذلك العلم ليس معه نور فلا يفيد واما بتلاوة الاسم فيحصل النور ويحصل الندم الذي هو التوبة (سر)

وقد روي عن الشيخ عبد القادر قدس الله سره انه كان ياتيه الرجل فيشكو اليه ترك الصلاة او التهاون في ادائها فيقول له اكثر من ذكر لا اله الا الله وياتيه اخر ويشكو اليه الزنا مثلا او شرب الخمر او غيرهما من القبائح فيامره بالذكر فما جاءه احد يشتكي من ترك مأمور او فعل منهي الا امره بالذكر واعلم ان التوبة هي الندم على ما فات من الذنوب لقوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة واما قولهم والعزم على ان لا يعود وتلافي الماضي فانه لازم للندم لان من ندم ندما صحيحا جازما عزم ان لا يعود لا محالة وعلى تلافي ما مضى على قدر ما يمكن وهذه التوبة اعني الندم على ما فات من الذنوب هي توبة العوام وهي مقبولة لا محالة واما توبة الخواص فهي التوبة عن جميع ما يشغل القلب عن الله عز وجل واما توبة خواص الخواص فهي التوبة من الذهول والغفلة عن الحضور مع الله وهذه توبة الصديقين الاذكياء الذين علموا قيمة انفسهم وعرفوا ان كل نفس من انفاسهم خير من الدنيا وما فيها وقد بينت التوبة بيانا اوضح من هذا في شرحي لقصيدة ابي العباس الجزائري رحمه الله تعالى واوضحت جميع المسائل التي تتعلق بها فمن اراده فليراجعه والله سبحانه الهادي

الباب الرابع

في بيان النفس الامارة وسيرها وعالمها ومحلها وحالها وواردها وصفاتها وقبائحها وكيفية الخلاص منها والترقي عنها الى المقام الثاني الذي تكون فيه النفس لوامة فسيرها الى الله وعالمها عالم الشهادة ومحلها الصدر وحالها الميل وواردها الشريعة وقد عرفت مما سبق ان النفوس السبعة نفس واحدة وتسمى باعتبار صفاتها المتكثرة بالاسماء المختلفة من الامارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة وقد عرفت ايضا ان هذه النفس هي النفس الناطقة وهي القلب الذي قال الله تعالى فيه ذلك لمن كان له قلب اذ ليس المراد من القلب القطعة اللحمية كما عرفت وانما هي اللطيفة الربانية لكنها لما تدنست بالميل الى الطبيعة والركون الى الشهوات وصادقت النفس الشهوانية اعني الروح الحيواني انحطت في سلك الحيوانات وتبدلت اوصافها الحميدة باوصافهم الذميمة وصارت لا تتميز عنهم الا بالصورة وصار الشيطان من جنودها ومن اوصافها الجهل والبخل والحرص والكبر والغضب والشره والشهوة والحسد والغفلة وسوء الخلق والخوض فيما لا يعني من الكلام وغيره والاستهزاء والبغض والايذاء باليد او باللسان وغير ذلك من القبائح التي مر ذكرها فهي نفس خبيثة وهي التي قال عنها يوسف الصديق عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء وقال نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اعدا عدويك نفسك التي بين جنبيك وقال عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فسمى جهاد الكفار الجهاد الاصغر وسمى جهاد النفس الجهاد الاكبر وذلك انها واقعة في ظلمة الطبيعة فلا فرق لها بين الحق والباطل فلا تميز بين الخير والشر ولا يقدر الشيطان اللعين على الاضلال على الانسان الا بواسطتها فكن ايها الاخ منها على حذر ولا تامن لها ولا تساعدها ولا تسلم لها ان احدا اذاها بل كن معينا له عليها لانك اذا تحققت عداوتها لزمك جميع ما ذكر

Copyright © King Saud University